آراء وافكار

جبل عسيب

كتب « ملاحظ » في مجلة المجمع (مجلد ٤ صفحة ٤٤) يسأل العلامة البحاثة احمد زكي باشا عن عروبة « عسيب » الذي ذكره في احدى مقالاته اللغوية في عرض كلامه عن رجوع امرئ القيس من القسطنطينية ووقوفه عند انقرة بقرب جبل عسيب « والأصح وقوفه على جبل عسيب بقرب انقرة » . وقال الملاحظ ان «عسيب» كلمة عربية محضة فهل بعض قبائل العرب توغلوا في الاناضول الى حد انقرة فأقاموا ثمة وسموا جبلها باسم « عسيب » او ان عسيب رومية الأصل وانها معرّبة عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« آسيبوس » مثلاً . ؟ (اه)

وما إخال الملاحظ المدقق الا وهو يعلم حقيقة عسيب ولكنه رمى بما رماه ليستدرج الباشا العالم الى كتابة شيء في مجلة المجمع العلمي الذي هو احد اركانه الركينة ومن علية اعلامه .

فاذا كان هذا ما قصد اليه فانا اشاركه في قصده الحسن وغرضه الحميد واطلب الى صديقنا الباشا ان يجيب الملاحظ الى دعوته بمقالة ممتعة ان لم اقل بمقالات مسهبة وان كنت اعتقد ان سعادة الصديق اليوم قد شغلته الشواغل وصرفته الصوارف عن تعهد المجلة بابحاثه الناضجة وآرائه السديدة التي نراها قد ملأت اعمدة الصحف السيارة والمجلات في بلد العلم في العالم العربي « القاهرة »

لكن هذا الاعتقاد لا يمنع المشتغلين بالعلم والآداب والظمآء الى ورود مناهلها من ارادة الباشا الغني بمواهبه على تزكية فضله ومن اولى باداء الزكاة من الزكي .

اما اذا كان الملاحظ يريد حقيقةً الوقوف على عروبة « عسيب » او انجميتها فانا أتولى شرح ذلك له اذا كان الباشا الى الآن لم يسبقني الى اجابته لما اراد .

جاء في كتاب الشعر والشعراء الذي قيل عنه ايضاً طبقات الشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ٨٨٩ م « ورأى « اي امرؤ القيس » قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بانقرة فسأل عن صاحبه فخبر بخبرها فقال :

اجارتنا ان المزار قريب وانني مقيم ما اقام عسيبُ
اجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب(١)

وعسيب جبل هناك (٢) »

---

(١) في الكتب العربية التي قرأناها لم نزد ابيات امرئ القيس على هذين البيتين ولكنا وجدنا لها ثالثاً في كتاب « قاموس الأعلام التركي ج ٢ ص ١٠٣٦ هو هذا :

فان تصليني تسعدي بمودتي وان تقطعيني فالغريب غريب

(٢) الشعر والشعراء طبع ليدن ص ٤٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ٩٤٥ م اسم عسيب بين الجبال المشهورة (١) وكذلك ذكره عند ما اتى على اسماء الجبال المشهورة عند العرب المذكورة في اشعارهـا بقوله: وعسيب قال امرؤ القيس « فاني مقيم ما اقام عسيب » (٢)

وجاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ٩٦٦ م (٣) « ورأى « اي امرؤ القيس » قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال: اجارتنا الى آخر (البيتين) ثم مات فدفن الى جنب المرأة . »

وفي الأغاني ايضاً في قصة مقتل صخر اخي الخنساء (٤)

« عسيب جبل بارض بني سليم الى جنب المدينة المنورة فقبره هناك » ونقل له ابياتاً من الشعر نوردها هنا لتعلقها بما نحن في صدده:

أجارتنا ان الخطوب تنوب ... على الناس كل الخطئين تصيبُ
فان تسأليني هل صبرت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب
كأني وقد ادنوا إليَّ شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب
اجارتنا لست الغداة بظاعنٍ ... ولكن مقيم ما اقام عسيب

وجاء في كتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ١١٤٣ م (٥)

« وعسيب جبل لبني هذيل »

وجاء في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م في مادة عسيب (٦)

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٢٥ طبع ليدن (٢) صفة جزيرة العرب ص ١٢٦ طبع ليدن (٣) الأغاني طبع مصر ج ٨ ص ٧١ (٤) الأغاني طبع مصر ج ١٣ ص ١٣١ (٥) الجبال والأمكنة والمياه طبع ليدن ص ١٠٨ (٦) معجم البلدان طبع ليبسيك ج ٣ ص ٦٧٨ وطبع مصر ج ٦ ص ١٧٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« عسيب جبل بعالية نجد معروف قال الأصمعي ولهذيل جبل يقال له كبكب وجبل يقال له حنثل وجبل يقال له « عسيب » يقال لا افعل ذلك ما اقام عسيب وله ذكر في اخبار امريء القيس حيث قال اجارتنا ان الخطوب تنوب الى آخر البيتين .

وذكر ياقوت ايضاً في معجمه في آخر مادة انقرة (١) بعد ان اتى على ذكر انقرة بلاد الروم وانقرة ثانية بنواحي الحيرة « وقد ذكر بعض العلماء ان انقرة التي في شعر الاسود ابن يعفر ، هي انقرة التي ببلاد الروم نزلتها إياد لما نفاهم كسرى عن بلاده وهذا احسن بالغ ولا ارى الصواب الا هذا القول والله اعلم . »

وقال ابن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨ م في كتابه مراصد الإطلاع على اسماء الامكنة والبقاع الذي اختصر فيه معجم البلدان في مادة انقرة (٢) :

« اسم لمدينة انكورية من الروم نزلتها اياد لما نفاهم كسرى عن بلاده وقيل موضع بنواحي الحيرة وهو غلط . »

وجاءت قصة موت امريء القيس عند جبل عسيب في بلاد الروم في تاريخ ابن الأثير (٣) المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م وفي تاريخ ابي الفدا (٤) المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م وغيرهما من كتب التواريخ والسير والشروح مما يطول ذكره .

فيتضح مما تقدم ان الابيات التي قالها امرؤ القيس عندما حان حينه على الجبل الذي سموه بعده بعسيب على مقربة يوم من انقرة وذكر فيها « واني مقيم ما اقام عسيب » لم يقصد به ذات الجبل الذي ادركته فيه المنية وانما جارى العرب على قولها « لا افعل ذلك ما اقام عسيب » كقولهم « اثقل من رضوى » و « اثبت من ثبير »

---

(١) معجم البلدان طبع ليبسك ج ١ ص ٣٩٣ وطبع مصر ج ١ ص ٣٦٢

(٢) مراصد الاطلاع ج ١ ص ٩٨ وهذا الكتاب قد طبع في ليبسك سنة ١٢٦٧ هـ : ١٨٥٠ م وفي نفس الكتاب المطبوع في ايران على الحجر سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م والذي عزاه طابعه الى ياقوت نفسه ص ٤٩ وهذا الأخير لا يفرق عن الاول الا بمقدمته . (٣) تاريخ الكامل ج ١ ص ١٨٥ طبع مصر (٤) المختصر في اخبار البشر ج ١ ص ٧٥ طبع مصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهما جبلان الأول فيما يلي المدينة المنورة والثاني في مكة المكرمة

نقول هذا ونحن لا ننفي ان تكون إياد قد اطلقت عليه هذا الاسم ولكن الذي نستنكره ان يظل محتفظاً بتلك التسمية العربية في عهد قياصرة الروم .

اما وقد جرّنا البحث الى ذكر امريء القيس والاستشهاد بشعر لصخر فقد وجب علينا ان نعرف المتقدم منهما والمتأخر لنتبيّن من منهما صاحب البيت :

اجارتنا ان الخطوب تنوب واني مقيم ما اقام عسيب

فنقول :

اتفق الرواة على ان امرأ القيس بن حجر الكندي آخر ملوك كندة كان في زمان انوشروان ملك الفرس الذي بين اول ولايته وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم اربعون سنة اي انه كان في النصف الأول من القرن الخامس للميلاد ويذهب البعض الى انه توفي سنة ٥٣٩ ميلادية او قبل ظهور الاسلام بسبعين سنة اثر لبسه حلة مسمومة بعث بها اليه قيصر الروم من القسطنطينية على رأي المتقدمين وبسبب مرض الجدري الذي اصابه فقرّح جلده على رأي المتأخرين .

اما صخر بن عمرو بن الحرث اخو الخنساء فقد لزمه المرض عقب طعنة نجلاء طعنه بها في جنبه ربيعة بن ثور الأسدي فظل يعاني آلامها حولاً كاملاً حتى اذا ارادوا استئصال ما خلفته من النتوء فضى نحبه في سنة يصعب تحقيقها الا اننا نعرف ان الخنساء سيدة النساء الشواعر قد بلغت من الكبر عتيّاً وادركت الاسلام فحسن اسلامها مما يجوّز لنا ان نظن ان صخراً قد توفي في اواخر القرن الخامس للميلاد اي بعد امريء القيس بسنين عديدة ولذلك نرجّح ان البيت لامريء القيس على اختلاف الروايات فقد رأيت مما مرّ بك ان اكثرهم يذكر الشطر الأول « اجارتنا ان المزار قريب » وبعضهم يقول « اجارتنا ان الخطوب تنوب »

فهل يُستبعد ان يكون صخر قد ضمنه شعره فافتتح ابياته بالشطر الأول واختتمها بالشطر الأخير وامرؤ القيس على ما علمت من الشهرة الطائرة والصيت البعيد .

على ان احد الادباء الذين التقت بهم عصا التسيار في جوار امريء القيس قد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نقل الينا (١) الشطر الاول من بيتيهِ : « اجارتنا ان الخطوب تنوب » وقال انه نقله من رخامة قبرهِ كما انه نقل لنا « عصيب » بدلاً من عسيب ولعل تلك الرخامة قديمة العهد وكتابتها صعبة القراءة فاشتبه عليه الأمر فوضع الصاد موضع السين ومع كل ذلك فانه يجدر بنا ان ننقل للقاريء الكريم مفتتح مقاله الذي عنوانه « وقفة على جبل عصيب »

« على قمة جبل عصيب الكائن على مقربة من مدينة انقرة قبة قد تداعت اركانها واصبحت كهيكل عظمي جرّدت عنه لحومه مع انها كانت فيما مضى مدفناً لاحد عظماء الرجال وهو امرؤ القيس صاحب المعلقة الشهيرة (قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل). عند عصر يوم تسلقت الجبل وقد تجشمت الاهوال في ذلك حتى انتهيت الى القبة فدخلتها واذا بين تلك الأطلال الدارسة التي اصبحت للطيور اوكاراً ضريح منقوش عليه بيتان من الشعر كان الدفين اوصى ان يحفرا على قبره (كذا) : ثم ذكر البيتين وما شعر به من الألم على تنامي العرب مثل هذا العظيم بأدبهِ وبطولته

قلنا ويسمي الاتراك هذا الضريح بملك العرب فهل يُعنى العرب بمليكهم هذا الذي قالوا فيه بُدِيءَ الشعر بملك .